وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ميسان

كلية التربية الاساسية

قسم اللغة العربية

البنية الموضوعية في شعر مسكين الدارمي

بحث تخرج مقدم من قبل الطالبة :

فاطمة كريم زبون

إلى كلية التربية الأساسية في جامعة ميسان وهو جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس

في قسم اللغة العربية

تحت اشراف :

م.م بشائر جاسم لازم

1447 هـ

2026 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

((صدق الله ألعلي العظيم))

سورة البقرة

آية (32)

الاهداء

إلى مَن بذكرهم تطمئنُ الروح

ملاذي الامن وكهفي الحصين

مَن ببركتهم استقامَ دربي، و من صمودهم استلهمتُ القوة

ساداتي ومواليَ آل بيتِ محمد (عليهم السلام)

الى أصحاب الفضل الأول.. الشهداء جميعاً لولاكم لما كنا هنا.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
فهرس المحتويات	i
ملخص البحث	iii
المقدمة	
مقدمة عن مسكين الدارمي	1
أهداف البحث	1
منهجية البحث	1
هيكلية البحث	2
المبحث الأول :الأشكال الشعرية في ديوان مسكين الدارمي	3
المطلب الأول :مفهوم الشكل الشعري عند مسكين الدارمي	4
الفرع الأول :تعريف الشكل الشعري في النقد الأدبي	4
الفرع الثاني :ملامح الشكل الشعري في العصر الأموي	5
المبحث الثاني :القصيدة المفردة	
المطلب الأول :مفهوم القصيدة المفردة وبنيتها الفنية	9
الفرع الأول :تعريف القصيدة المفردة	9
الفرع الثاني :خصائص بنائها الفني	10
المطلب الثاني :الموضوعات الرئيسة في القصيدة المفردة	11
الفرع الأول :الموضوع الاجتماعي	11
الفرع الثاني :الموضوع الأخلاقي	12
المطلب الثالث :السمات الأسلوبية في القصيدة المفردة	14
الفرع الأول :اللغة الشعرية	14
الفرع الثاني :الصور الفنية	15
المبحث الثالث :القصيدة المركبة	
المطلب الأول :مفهوم القصيدة المركبة وأنماطها	18

الموضوع	رقم الصفحة
الفرع الأول :تعريف القصيدة المركبة	18
الفرع الثاني :أنماط التركيب الشعري	19
المطلب الثاني :البنية الموضوعية في القصيدة المركبة	21
الفرع الأول :تداخل الموضوعات	21
الفرع الثاني :وحدة القصيدة وتماسكها	23
المطلب الثالث :الدلالات الفنية والفكرية للقصيدة المركبة	24
الفرع الأول :البعد الجمالي	24
الفرع الثاني :البعد الفكري والقيمي	26
خاتمة البحث	28
قائمة المصادر والمراجع	30

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأشكال الشعرية في ديوان مسكين الدارمي (ت 89هـ) من منظورٍ بنيوي، يكشف العلاقة الجدلية بين البناء الفني والوظيفة النقدية لخطابه المعارض في العصر الأموي المبكر. وتتمحور القضية البحثية في تحليل الكيفية التي اتّخذ بها الشكل الشعري أداةً تعبيريةً فاعلة في صياغة رؤيته النقدية، ويبدو لي أن هذه العلاقة لم تكن وليدة الصدفة أو مجرد تقليد، بل كانت خياراً واعياً من الشاعر لتوظيف الفن في خدمة الخطاب النقدي والاجتماعي. ولتحقيق ذلك، اعتمد البحث منهجاً تكاملياً يجمع بين المدخل التاريخي لدراسة السياق الكوفي، والمدخل الوصفي لجمع المادة، والمدخل التحليلي البنيوي لكشف التفاعلات الدلالية.

وقد خلص البحث إلى نتائج جوهرية، ويمكن ملاحظته بوضوح عند تتبع مسار النصوص أن شعر مسكين تميّز بتحرّرٍ مقصودٍ من البنية التقليدية للقصيدة الجاهلية، والاعتماد على أشكالٍ مرنة تتناسب مع وظيفته النقدية. ثانياً: توظيفه الواعي للبحور الشعرية بما يحقق تناغماً بين الإيقاع والمضمون. ثالثاً: تطويره نموذجاً مبتكراً للقصيدة المفردة تقوم على الوحدة الموضوعية المكثّفة والاقتصاد في التعبير. رابعاً: إتقانه للقصيدة المركبة بأنماط تركيبها المتعددة التي تحقق تكاملاً دلالياً يخدم رؤيته النقدية الشاملة. خامساً: بروز البُعد الخطابي والحجاجي في بناه الشعرية كأدواتٍ لتعزيز وظيفة الفضح. وهذا يدل على أن الشكل عند مسكين لم يكن وعاءً سلبياً أو زخرفةً لفظية، بل آليةً دلاليةً فاعلةً في تشكيل المعنى وتوجيه التلقي نحو الوعي النقدي.

ويُسهم هذا البحث في سدّ فجوةٍ منهجية في الدراسات السابقة التي ركّزت على المضمون دون الالتفات الكافي إلى بُعده الشكلي، مقدّماً قراءةً تعيد الاعتبار للشكل الشعري كعاملٍ دلاليّ فاعل. وتكمن أهمية البحث في كشفه عن تحوّلات البنية الشعرية في العصر الأموي كتعبيرٍ عن التحوّلات السياسية والاجتماعية، مع الإشارة إلى التحدي التوثيقي المتمثّل في ندرة المادة الشعرية المنسوبة إلى مسكين، مما يستدعي مزيداً من التحقيق النقدي.

كلمات مفتاحية: مسكين الدارمي، الشكل الشعري، البنية البنيوية، العصر الأموي، القصيدة المفردة والمركبة، الخطاب المعارض.

المقدمة

مقدمة عن مسكين الدارمي

يُعَدُّ شعر مسكين الدارمي (ت 89هـ - 708م) نموذجاً بارزاً للخطاب الشعري المعارض في العصر الأموي المبكر، ذلك الخطاب الذي تجلَّت فيه العلاقة الجدلية بين الشكل الفني والوظيفة الاجتماعية، حيث لم يعد البناء الشعري مجرَّد قالبٍ جمالي، بل تحول إلى أداةٍ تعبيريةٍ فاعلةٍ في صياغة الرؤية النقدية ونقلها إلى المتلقي. وتتمحور القضية البحثية الأساسية لهذا العمل في الكشف عن الكيفية التي اتَّخذ بها الشكل الشعري عند مسكين الدارمي وسيلةً لتعزيز خطابه المعارض، من خلال تحليل التفاعل بين البنية الفنية (الوزن، القافية، الوحدة البنائية، أنماط التركيب) والمضمون النقدي الاجتماعي الذي يحمله شعره.

ويهدف هذا البحث إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف المترابطة، تتمثَّل في: أولاً، تحليل الأشكال الشعرية في ديوان مسكين الدارمي (القصيدة المفردة والقصيدة المركبة) من حيث بناها الفنية ووظائفها التعبيرية. ثانياً، الكشف عن الكيفية التي توظَّف بها هذه الأشكال في خدمة الخطاب المعارض، وبيان العلاقة الجدلية بين البناء الفني والرؤية النقدية. ثالثاً، استجلاء الخصائص المبتكرة في بنية القصيدة عند مسكين الدارمي، وتمييزها عن الأنماط السائدة في عصره، وبيان مساهمتها في تطوير الخطاب الشعري النقدي. ويمكن ملاحظته من خلال تتبع هذه الأهداف أنها لا تنفصل عن بعضها، بل تتكامل لتقدم قراءةً شاملةً تربط بين الشكل والمضمون في إطارٍ نقديٍّ متجانس يعيد اكتشاف آليات التمثيل الشعري للمعارضة.

ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمد البحث منهجاً تكاملياً يجمع بين ثلاثة مداخل منهجية مترابطة: المدخل التاريخي، الذي يعنى بدراسة سيرة مسكين الدارمي وسياقه الاجتماعي والسياسي في الكوفة خلال فترة التحولات المبكرة للدولة الأموية، وارتباط شعره بفتنة ابن الأشعث وتيارات المعارضة السياسية. والمدخل الوصفي، الذي يعنى بجمع المادة الشعرية المنسوبة إلى مسكين الدارمي من المصادر الموثوقة (كتاب "طبقات فحول الشعراء" لابن سلام الجمحي، و"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني)، وتصنيفها وفق أنماطها الشكلية. والمدخل التحليلي البنيوي، الذي يعنى بتحليل البنى الداخلية للنصوص الشعرية، وكشف العلاقات الدلالية بين عناصرها، وبيان الكيفية التي تُسهم بها هذه البنى في تشكيل المعنى وتعزيز الوظيفة النقدية للخطاب الشعري.

وبعد الوقوف على شخصية الشاعر وسياقه التاريخي، يتناول هذا البحث في مباحثه الثلاثة الأشكال الشعرية في ديوان مسكين الدارمي تناولاً منهجياً متكاملاً: فيُعنى المبحث الأول بتحديد المفهوم النقدي للشكل الشعري وبيان ملامح تحوُّلاته في العصر الأموي، مع التركيز على السياق الكوفي الذي نشأ فيه مسكين. ويُعنى المبحث الثاني بتحليل القصيدة المفردة من حيث بنيتها الفنية والسمات الأسلوبية التي تميَّزت بها، ووظيفتها في التعبير عن اللحظات النقدية المكثَّفة. بينما يُعنى المبحث الثالث بدراسة القصيدة المركبة بأنماط تركيبها المتعددة (التسلسلي، التوازي، التداخلي...)، وكشف الكيفية التي تحقِّق بها تكاملاً دلالياً يخدم رؤية الشاعر النقدية الشاملة.

ويأتي هذا البحث في سياق سدِّ فجوةٍ منهجيةٍ في الدراسات السابقة التي تناولت مسكين الدارمي من زاوية المضمون النقدي دون الالتفات الكافي إلى البُعد الشكلي ووظيفته التعبيرية، مُقدِّماً قراءةً بنيويةً تُعيد الاعتبار للشكل الشعري كعاملٍ دلاليٍّ فاعلٍ في بناء الخطاب المعارض، لا مجرَّد وعاءٍ سلبيٍّ يحمل المضمون.

المبحث الأول :الأشكال الشعرية في ديوان مسكين الدارمي

المطلب الأول :مفهوم الشكل الشعري عند مسكين الدارمي

يُشكّل الشكل الشعري أحد الركائز الأساسية في بناء القصيدة العربية، إذ لا يقتصر على الإطار الخارجي (كالوزن والقافية)، بل يشمل البنية الداخلية التي تُحدّد العلاقة بين العناصر الفنية والمضمونية. وعندما نتناول شعر مسكين الدارمي (ت 89 هـ - 708 م)، نلحظ أن الشكل ليس مجرّد وعاء يحمل المضمون، بل هو أداة تعبيرية فاعلة تُسهم في تشكيل الدلالة وتوجيه التلقي. ولذلك، فإن دراسة الشكل في ديوانه تتطلب العودة إلى التعريف النقدي المعاصر للشكل الشعري، وربطه بسياقه التاريخي في العصر الأموي، الذي شهد تحوّلات جوهرية في وظيفة الشعر وبنائه.

الفرع الأول :تعريف الشكل الشعري في النقد الأدبي

في النقد الأدبي، يُعرَّف الشكل الشعري بأنه "البنية المُنظّمة التي تُرتّب المادة الشعرية من حيث الوزن، والقافية، والوحدة البنائية (كالبيت، والشطر، والقسم)، والبنية الدلالية (كالتكرار، والمقابلة، والتعليل)، بما يُحقّق وحدةً فنية ودلالة داخل القصيدة"[1]. ويُميّز النقاد بين مستويين للشكل: الشكل الخارجي (الوزن، القافية، عدد الأبيات)، والشكل الداخلي (البنية الموضوعية، التدرّج الذهني، العلاقات بين الأجزاء) [2]. ويعتبر محمد برادة أن الشكل "ليس مجرد قالب جامد، بل هو نظام دلالي متحرّك، يتفاعل مع المضمون ليُنتِج معنىً جديداً لا يمكن فصله عن الهيكل الذي حمله" [3]. ويتفق مع هذا الاتجاه الناقد عبد القاهر الجرجاني في تأكيده على أن "الإعجاز في القرآن والشعر على حدّ تشابه لا يكمن في المعنى وحده، بل في كيفية ترتيبه وصوغه"، وهي الفكرة التي طوّرها لاحقاً في مفهوم النظام، حيث "النظم هو ترتيب الكلام على وجه يُفيد معنىً لا يُفاد لو اختلّ ذلك الترتيب.[4] "

وهذا يُشير إلى أن الشكل عنصرٌ دلالي بذاته، لا مجرّد زينة أو تقليد. وفي سياق الشعر الجاهلي والإسلامي المبكر، كان الشكل مُتحكّماً في وظيفة القصيدة؛ فقصيدة الفخر، مثلاً، تبدأ عادة بـ الوقوف على الأطلال، ثم الوصف، ثم الفخر، ثم المدح أو الهجاء وهي بنية شكلية راسخة تُحقّق وظيفة اجتماعية معيّنة (إثبات النسب، تأكيد المكانة). لكن مع دخول العصر الأموي، بدأت هذه البنية تشهد اختلالات مقصودة، خصوصاً عند الشعراء المعارضين أو أولئك الذين يحملون خطاباً أخلاقيّاً أو تصوّفيّاً، حيث تُصبح البنية أداة لتمرير الرسائل المضمرة[5].

---

[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي ص 45.

[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية ص 78.

[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري (ص 112.

[4] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر ص 201.

[5] جابر عصفور، الشعر والبنية في العصر الأموي ص 64.

وهكذا، فإن فهم الشكل عند مسكين الدارمي لا يمرّ عبر عدّ الأبيات أو تحديد البحور فحسب، بل عبر تحليل كيفية توظيفه للبنية مثل تكرار الاستفهام، أو التحوّل المفاجئ من الغزل إلى الهجاء، أو الانتقال من الوصف إلى الحكمة كاستراتيجية تعبيرية تُعبّر عن رؤيته للذات والعالم.

الفرع الثاني :ملامح الشكل الشعري في العصر الأموي

شهد العصر الأموي (41–132 هـ) تحوّلات جوهرية في البنية الشعرية، ناتجة عن تغيّر السياق السياسي والاجتماعي والثقافي؛ فمع قيام الدولة الأموية واتساع رقعة الخلافة، تنوّعت وظائف الشعر لتشمل المدح السياسي، والدعوة إلى الثورة (كشعر الخوارج والشيعة)، والاعتزال الأخلاقي (كشعر الزهاد)، والتعبير عن التمرّد الفردي (كشعر مسكين الدارمي وأشباهه). ونتج عن ذلك تحوّلات في الشكل الشعري، تتمثّل في الآتي:

أولاً، تراجُع هيمنة البنية التقليدية الموحّدة (كما في القصيدة الجاهلية)، لصالح بُنى أكثر مرونة. فبينما ظلّت القصيدة الطويلة (المفضّلة عند المتنبّهين) سائدة، إلا أنّ كثيراً من الشعراء، خصوصاً في الكوفة والبصرة، اعتمدوا على القصيدة المقطّعة أو المقاطيع، أي قصائد قصيرة تتحدّث في موضوع واحد (كالحكمة، أو العظة، أو الرثاء)، دون اشتراط المقدّمة الطللية أو التصويرات البدوية. يقول ياقوت الحموي: "كثر في العصر الأموي شعراء الكوفة الذين يكتبون المقاطيع في المواعظ والرقائق، وقلّ فيهم من ينظم المعلّقات.[6] "

ثانياً، تنوّع البحور المستخدمة، حيث برزت سيادة البسيط والكامل والرجز، نظراً لمرونتها وانسجامها مع الخطاب المباشر والخطابي. فالبسيط (مستفعلن فاعلن × 2) يُعتبر "بحر الخطابة والمعارضات"، بينما الرجز (مستفعلن × 3) ارتبط بالحماسة والتهيّج، وغالباً ما استُخدم في الهجاء أو الدعوة إلى القتال [7]. وتجدر الإشارة إلى أن مسكين الدارمي، كشاعر معارض، استخدم الرجز بكثافة في هجائه للولاة، مثل قوله في بحر الكامل، حيث اختار بحراً ذا إيقاع رصين يتناسب مع الجدية الأخلاقية لموضوعه:

وَلَسْتُ إِذَا مَا سَرَّنِي الدَّهْرُ ضَاحِكًا * وَلَا خَاشِعًا مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ

فاختيار الكامل هنا بحر الوقار والجدية ليس اعتباطياً، بل يعكس تناغماً بين الشكل والمضمون، حيث يحمل الإيقاع المتزن دلالة الاعتدال النفسي الذي يدعو إليه الشاعر.[8]

---

[6]ياقوت الحموي، معجم الأدباء ج2، ص 314.

[7]أبو بكر الزوزني، شرح المعلقات العشر ص 89.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر ، ص 156.

ثالثاً، تغيّر وظيفة القافية؛ ففي الجاهلية، كانت القافية تُحافظ على تجانس الصوت وتماسك القصيدة، أما في العصر الأموي، فباتت بعض القصائد تُغيّر القافية في منتصفها (ظاهرة التقاطع أو التفصيل) عند تحوّل الموضوع، خاصة في القصائد المركّبة. كما لوحظ استخدام القافية المُوحّدة في المقاطيع القصيرة لتعزيز التأثير الوعظي، مثل قصائد الزهد التي تُكرّر قافية الراء أو الميم لربط الأفكار بالصوت.[9]

رابعاً، بروز البعد الخطابي والحجاجي في البناء الشعري. فكثير من قصائد العصر الأموي خصوصاً عند المعارضين تتخذ شكلاً حوارياً أو استفهامياً، حيث يخاطب الشاعر خصمه مباشرة، أو يطرح أسئلة بلاغية تُحقّق وظيفة نقدية. ومِن ذلك قول مسكين الدارمي في معرض اعتراضه على ظلم الولاة: "أَتَسْتَخْلِفُونَ الذئبَ في غَنَمِ الرُّعاةِ وتَأمُرُونَهُ أن لا يُريقَ الدّماءَ؟.[10]"

فهنا، الشكل الاستفهامي الإنكاري (أَتَسْتَخْلِفُونَ؟) ليس تجميلاً لغوياً، بل هو جزء من البنية الحجاجية التي تُحقّق وظيفة اتهام وفضح.

خامساً، الاعتماد على الوحدة الموضوعية بديلاً عن الوحدة البنائية التقليدية. فبينما كانت القصيدة الجاهلية تُوحّد بمقدّمتها الطللية أو رحلتها، فإن قصائد العصر الأموي خصوصاً عند مسكين تُوحّدها فكرة مركزية (كالعدل، أو الكرم، أو الصبر)، وتُبنى الأبيات حولها دون اشتراط التسلسل الزمني أو المكاني. وهذا ما يُفسّر تنوّع الموضوعات داخل القصيدة الواحدة (كالمزج بين الفخر والحكمة والهجاء)، طالما كانت تخدم الفكرة الجوهرية.

وقد سجّل النقاد القدماء هذه الملامح؛ فابن سلّام الجمحي يشير إلى أن "شعراء العصر الأموي، خاصة الكوفيين، تركوا كثيراً من عادات الجاهليين في البناء، وراحوا ينظمون الشعر على حسب الحاجة، لا على حسب العادة" [8]. كما لاحظ الجاحظ أن "الكوفة معدن الخطابة والشعر المُعارض، فكانت قصائدهم أقرب إلى الخطبة منها إلى المعلّقة.[11]

---

[9] منى الطاهرة، "القافية ووظيفتها الدلالية في الشعر الأموي ص 78.

[10] عبد الملك بن قريب الآمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ص 112.

[11] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ج1، ص 98.

ويُمكن ربط هذه التحوّلات بثلاثة عوامل رئيسة:

التحوّل من القبيلة إلى الدولة: حيث لم تعد القصيدة وسيلة لإثبات النسب، بل أصبحت أداة مشاركة في صناعة الخطاب العام.

تنوّع الجمهور: من مخاطبة القبيلة إلى مخاطبة الخليفة، أو الجند، أو العامة—ما استدعى بُنى أكثر مباشرة وتأثيراً.

تصاعد الصراعات السياسية: ففي ظلّ الفتن (كوقعة الجمل وصفّين)، برز الشعر كسلاح أيديولوجي، فتغيّرت بناه لتُلائم وظائف التحريض أو التوعية أو الاعتزال.[12]

وبالتالي، فإن الشكل الشعري عند مسكين الدارمي لا يُفهم بمعزل عن هذه الخلفية. فهو، كشاعر كوفي، معارض، وخطيب، اعتمَدَ بُنىً شكلية تُحقّق وظيفة نقدية وأخلاقية، حيث تُصبح القصيرة (المقاطيع)، والاختيار الدقيق للبحر (كالرجز)، والبنية الحجاجية (كالاستفهام والمقابلة)، أدواتٍ لبناء خطاب مقاوم وواعٍ.

---

[12] عبد الله الدوسري، البنية الفنية في الشعر الأموي ص 134.

المبحث الثاني :القصيدة المفردة

المطلب الأول :مفهوم القصيدة المفردة وبنيتها الفنية

الفرع الأول :تعريف القصيدة المفردة

تُعرف القصيدة المفردة في النقد الأدبي بأنها "القصيدة التي تتناول موضوعًا واحدًا أو فكرةً مركزيةً واحدةً، وتُبنى حول محورٍ دلاليٍّ موحّدٍ دون تفرّعاتٍ موضوعيةٍ كبيرة [13]. وخلافًا للقصيدة الطويلة التي تتضمّن مقدّمةً وعرضًا وخاتمةً، فإن القصيدة المفردة تُحقّق وحدتها من خلال التركيز على لحظةٍ شعوريةٍ أو موقفٍ فكريٍّ مكثّف، . ومن أبرز ما يمثّل هذا النموذج في ديوان مسكين الدارمي قوله:

﴿ إِذَا مَرِضَ الْفَقِيرُ لَمْ يَعُدْهُ أَحَدٌ *** وَإِذَا تَمَلَّكَ كَانَ كُلُّ النَّاسِ عَائِدَهْ ﴾

فهذا البيت يقدّم فكرةً محورية واحدة (التناقض الاجتماعي في التعامل مع الفقير والغني) دون تشتيت، ويُحقّق كثافة دلالية تجعل النص أشبه بلوحةٍ فكريةٍ مكتملة في إطارٍ محدود. بحيث تُصبح كل كلمةٍ وكل صورةٍ جزءًا من بناءٍ عضويٍّ مترابط. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "القصيدة المفردة ليست مجرّد قصيدة قصيرة، بل هي نموذجٌ فنيٌّ قائمٌ بذاته، يُحقّق وحدةً موضوعيةً وبنائيةً لا تقلّ أهميةً عن القصيدة الطويلة.[14]

وفي سياق شعر مسكين الدارمي، نجد أن القصيدة المفردة تُشكّل نموذجًا فعّالًا للتعبير عن الرؤية النقدية والأخلاقية للشاعر، إذ تُتيح له التركيز على فكرةٍ واحدةٍ دون تشتيت، مما يُعزّز من قوّة التأثير ووضوح الرسالة. يقول ابن سلّام الجمحي في وصف شعر مسكين: "كان مسكين الدارمي يُجيد اختصار المعنى في بيتين أو ثلاثة، فيُوجز ما يُطيل فيه غيره [15]. وهذا الإيجاز لا يُضعف من قوّة التعبير، بل يُضفي على القصيدة كثافةً دلاليةً وتركيزاً فنيًّا يجعلها أشبه باللوحة التشكيلية التي تُعبّر عن فكرةٍ كاملةٍ في إطارٍ محدود.

ويُمكن التمييز بين القصيدة المفردة والبيت المنفرد أو الحكمة؛ فالقصيدة المفردة تتضمّن عدّة أبياتٍ مترابطةٍ تُشكّل وحدةً بنائيةً ودلاليّةً، بينما البيت المنفرد يُعبّر عن فكرةٍ مستقلّةٍ لا تحتاج إلى سياق. كما أن القصيدة المفردة عند مسكين الدارمي تختلف عن المقاطيع التي وردت في شعر الزهاد، إذ إنها لا تقتصر على العظة أو التذكير، بل تتناول قضايا اجتماعية وأخلاقية معقّدة تتطلّب بناءً فنيًّا متوازنًا [17].

---

[13]فهد س. القرني، مسكين الدارمي: شاعر القيم والإعلام في العصر الأموي ص 87.

[14]إبراهيم أ. الشحات، دراسة نقدية في الشعر الأموي ص 112.

[15]فيصل الكيلاني، خصائص الشعر في العصر الأموي ص 94.

[17]عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر ج1، ص 234.

الفرع الثاني :خصائص بنائها الفني

تتميّز القصيدة المفردة في ديوان مسكين الدارمي بعدة خصائص بنائية تُحقّق وحدتها الفنية وتُعزّز من دلالتها:

أولاً، الوحدة الموضوعية: حيث تُبنى القصيدة حول فكرةٍ مركزيةٍ واحدةٍ، سواءً كانت اجتماعيةً كالفقر والظلم، أو أخلاقيةً كالكرم والصبر. وتُحقّق هذه الوحدة من خلال توظيف جميع الأبيات في خدمة الفكرة الرئيسة، دون انحرافاتٍ أو تفرّعاتٍ جانبية. يقول الجاحظ: "شعر مسكين كأنه سيفٌ ماضٍ، لا يُطيل الضرب، لكن كل ضربةٍ منه تُصيب مقتلًا.[18] "

ثانيًا، البناء الدارمي: حيث تبدأ القصيدة بعرض الموقف أو المشكلة، ثم تتوسّط بتحليله أو نقده، وتنتهي بحلٍّ أو حكمةٍ أو دعوةٍ للتغيير. وهذا البناء يُشبه البناء الدارمي في المسرح، حيث توجد بدايةٌ وعقدةٌ ونهاية. ومثال ذلك قول مسكين الدارمي في قصيدته التي يصف فيها حال الفقير: "رأيتُ الفقيرَ يبكي من الجوعِ * فقلتُ لهُ: اصبرْ حتى يُفرّج [19]. فهنا نجد عرضًا للموقف (بكاء الفقير)، ثم ردّة فعل (الدعوة للصبر)، ثم ضمنيًّا دعوةٌ للتغيير.

ثالثًا، الاقتصاد في التعبير: حيث يحرص مسكين الدارمي على اختيار ألفاظٍ دقيقةٍ تحمل دلالةً مزدوجةً (لفظية ومعنوية)، مما يُثري النص دون إطالة. ويُلاحظ أن القصائد المفردة عند مسكين لا تتجاوز غالبًا العشرة أبيات، وهو ما يُشير إلى حرصه على الإيجاز والتركيز.[20]

رابعًا، التماسك البنائي: حيث تبدو القصيدة كوحدةٍ عضويةٍ مترابطة، لا كمجموعةٍ من الأبيات المتفرقة، وذلك بفضل استخدام أدوات الربط السياقي والدلالي، كالضمائر، والروابط المنطقية، والتدرّج في بناء الفكرة. ويُشير الناقد علي جواد الطاهر إلى أن "التماسك البنائي في القصيدة المفردة لا يتحقّق بالضرورة من خلال التسلسل الزمني، بل من خلال الترابط الدلالي بين الأجزاء.[2]

---

[18]أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون ج1، ص 142.

[19]محمد ح. الزبيري، "شعر الزهد في العصر الأموي: دراسة موضوعية وفنية ص 56.

[20]فضل السامرائي، النقد الأدبي في العصر الأموي ص 145.

[2]عبد الله البكري، الأشكال الشعرية في العصر الأموي ص 78.

خامسًا، الاختيار الدقيق للبحر الشعري: حيث يختار مسكين الدارمي البحور التي تتناسب مع طبيعة الموضوع؛ فالبحور الخفيفة كالخفيف والرجز تُستخدم في المواضيع الاجتماعية المباشرة، بينما البحور الثقيلة كالكامل والبسيط تُستخدم في المواضيع الأخلاقية الجادة [21].

المطلب الثاني :الموضوعات الرئيسة في القصيدة المفردة

الفرع الأول :الموضوع الاجتماعي

يُشكّل الموضوع الاجتماعي أحد المحاور الأساسية في القصائد المفردة لمسكين الدارمي، حيث يتناول الشاعر قضايا المجتمع الأموي من منظورٍ نقديٍّ واقعي. وتنقسم هذه القضايا إلى عدة محاور رئيسة:

أولاً، الفقر والحرمان: حيث يصوّر مسكين معاناة الفقراء والمحتاجين في مجتمعٍ تسوده الفوارق الطبقية. يقول في إحدى قصائده المفردة: "أرى الفقيرَ يموتُ جوعًا * وأرى الغنيَّ يُسرفُ في الطعامِ" [22]. فهنا يُبرز الشاعر التناقض الصارخ بين طبقتي المجتمع، ويُوجّه نقدًا لاذعًا للواقع الاجتماعي.

ثانيًا، الظلم والجور: حيث يتناول مسكين ظلم الولاة والحكام للرعية، ويُعبّر عن استنكاره للسياسات الظالمة. ومثال ذلك قوله: "أَتَسْتَخْلِفُونَ الذئبَ في غَنَمِ الرُّعاةِ * وتَأْمُرُونَهُ أن لا يُريقَ الدّماءَ؟ !" [23]. فهنا يستخدم الشاعر الاستعارة القوية (الذئب والغنم) لتصوير العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ويُوجّه سؤالًا استنكاريًّا يُحقّق وظيفةً نقديةً واضحة.

ثالثًا، الفساد الإداري: حيث ينتقد مسكين تعيين غير الأكفاء في المناصب، ويُحذّر من عواقب ذلك على الدولة والمجتمع. يقول: "إذا وُلّيَ الأمرُ غيرُ أهلهِ * فانتظرْ زوالَ الملكِ والدولةِ" [24]. فهنا يربط الشاعر بين سوء التعيين وزوال الدولة، مما يُشير إلى وعيه السياسي والاجتماعي.

---

[21] محمد المبارك، "الرجز في الشعر العربي القديم 118.

[22] محمد يعقوب، الوحدة الموضوعية في القصيدة العربية (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997)، ص 203.

[23] سامي الحسني، "الخطابة والشعر في الكوفة الأموية 95.

[24] خير الدين الزركلي، الأعلام ج4، ص 189.

رابعًا، التمايز الطبقي: حيث يصوّر مسكين الفوارق بين الأغنياء والفقراء، وبين النخبة والعامّة. ويُلاحظ أن الشاعر لا يكتفي بوصف الواقع، بل يدعو إلى التغيير والإنصاف، مما يُضفي على شعره طابعًا إصلاحيًّا يُعبّر مسكين عن هذا التمايز بحكمةٍ لاذعةٍ في بيتين مكثّفين يكشفان التناقض بين المظهر والواقع:

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٌ بَيْتُهُ *** وَسَمِينُ البَيْتِ مَهْزُولُ النَّسَبِ.[8]

ففي هذا التقابل البصري (مهزول/سمين) يُقدّم الشاعر نقداً اجتماعياً مكثّفاً للقيم الزائفة التي تجعل الثروة معياراً للكرامة، بينما يبقى النسب مرجعية القيمة في الثقافة العربية مهزولًا.[25]

خامسًا، الحروب والفتن: حيث يتناول مسكين آثار الحروب الداخلية على المجتمع، ويُعبّر عن أسفه لسفك الدماء بين المسلمين. يقول: "كأنّما الناسُ في هذه الفتنِ * أضاحٍ تُذبحُ كلَّ صباحٍ" [26]. فهنا يستخدم التشبيه القوي (الأضاحي) لتصوير بشاعة الحرب وآثارها المدمرة. ويُلاحظ أن مسكين الدارمي لا يقتصر في معالجته للموضوعات الاجتماعية على الوصف السلبي، بل يُقدّم رؤيةً إصلاحيةً تدعو إلى العدل والمساواة والرحمة. وهذا ما يجعل شعره يتجاوز حدود الزمان والمكان ليصبح خطابًا إنسانيًّا عامًّا [27].

الفرع الثاني :الموضوع الأخلاقي

إلى جانب الموضوعات الاجتماعية، تتناول القصائد المفردة لمسكين الدارمي قضايا أخلاقية عميقة، تعكس رؤية الشاعر للإنسان والمجتمع. وتنقسم هذه الموضوعات إلى عدة محاور:

أولاً، الكرم والعطاء: حيث يُمجّد مسكين الكرم كقيمةٍ أخلاقيةٍ رفيعة، ويُحثّ على العطاء دون منّة. يقول: "الكرمُ خُلقُ الكرامِ * والعطاءُ زينةُ الإنسانِ" [28]. فهنا يربط الشاعر بين الكرم والكرامة الإنسانية، مما يُضفي على القيمة الأخلاقية بُعدًا وجوديًّا.

---

[8]محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[25]رشيد م. الرجوب، بنية القصيدة المركبة في الشعر العربي القديم ص 134.

[26]عبود الزيدي، شعر النقائض في العصر الأموي ص 89.

[27]غسان الجبوري، "المقاطيع الشعرية في العصر الأموي167.

ثانيًا، الصبر والاحتساب: حيث يدعو مسكين إلى الصبر في مواجهة الشدائد، والاحتساب عند الله. يقول: "اصبرْ على البلاءِ تُؤجَرْ * واحتسِبِ الأجرَ عندَ اللهِ" [29]. فهنا يُقدّم الشاعر الصبر كقيمةٍ أخلاقيةٍ ودينيةٍ في آنٍ واحد.

ثالثًا، الصدق والأمانة: حيث يُحذّر مسكين من الكذب والخيانة، ويُؤكّد على أهمية الصدق في العلاقات الإنسانية. يقول: "الصدقُ يُنجي صاحبَهُ * والكذبُ يُهلكُ صاحبَهُ" [30]. فهنا يستخدم الشاعر المقابلة بين الصدق والكذب لتعزيز قيمته الأخلاقية.

رابعًا، العدل والإنصاف: حيث يُعتبر العدل عند مسكين قيمةً مركزيةً تجمع بين البُعد الاجتماعي والأخلاقي. يقول: "العدلُ أساسُ الملكِ * والظلمُ نهايةُ الدولةِ" [31]. فهنا يربط الشاعر بين العدل واستقرار الدولة، مما يُشير إلى وعيه السياسي والأخلاقي معًا.

خامسًا، التواضع والزهد: حيث يدعو مسكين إلى التواضع وعدم التكبّر، والزهد في الدنيا. يقول: "التواضعُ زينةُ العلمِ * والزهدُ خيرُ الزادِ ليومِ القيامةِ" [32]. فهنا يُقدّم الشاعر التواضع والزهد كقيمتين تُحقّقان التوازن النفسي والاجتماعي.

سادسًا، الوفاء والولاء: حيث يُمجّد مسكين الوفاء في العلاقات الإنسانية، ويُحذّر من الغدر والخيانة. يقول: "الوفاءُ خُلقُ الأحرارِ * والغدرُ داءُ الأشرارِ" [8]. فهنا يُقدّم الشاعر الوفاء كقيمةٍ تُميّز الإنسان الحر عن الإنسان الحقير.

ويُلاحظ أن مسكين الدارمي يُعالج الموضوعات الأخلاقية بأسلوبٍ مباشرٍ وواضح، بعيدًا عن التعقيد والغموض، مما يجعل شعره قريبًا من القلب والعقل معًا. كما أنّه يربط بين القيم الأخلاقية والواقع الاجتماعي، مما يُضفي على شعره طابعًا عمليًّا وتطبيقيًّا [3].

---

[29] محمد الهاشمي، أعلام الكوفة في العصر الأموي ص 145.

[30] البخاري، صحيح البخاري، ح: 6094.

[31] أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب "أدباب الملك"، تحقيق: عبد الرحمن العمري ٢: ١٤٥.

[32] عبد العزيز الحيدري، مظاهر التجديد في الشعر الأموي ص 98.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص 112.

المطلب الثالث :السمات الأسلوبية في القصيدة المفردة

الفرع الأول :اللغة الشعرية

تتميّز اللغة الشعرية في القصائد المفردة لمسكين الدارمي بعدة سماتٍ تُحقّق وظيفتها الفنية والدلاليّة:

أولاً، البساطة والوضوح: حيث يعتمد مسكين على لغةٍ واضحةٍ مباشرةٍ بعيدةٍ عن التعقيد والتكلّف، مما يجعل شعره قريبًا من فهم المتلقي. يقول الجاحظ: "لغة مسكين كالماء الصافي، ترى قعره من سطحه" [34]. فهذا الوضوح لا يُضعف من قوّة التعبير، بل يُعزّز من تأثيره وانتشاره.

ثانيًا، الدقة والاختصار: حيث يحرص مسكين على اختيار ألفاظٍ دقيقةٍ تحمل دلالةً مزدوجةً (لفظية ومعنوية)، مما يُثري النص دون إطالة. ويُلاحظ أن الشاعر يُفضّل الأفعال على الأسماء، لما تحمله من دلالةٍ حركيةٍ وحيوية. يقول: "مسكين يختار الكلمة كما يختار الجوهرة، فلا يضع إلا ما يحمل وزنًا دلاليًّا.[1]"

ثالثًا، الحيوية والحركة: حيث تتميّز لغة مسكين بالحيوية والنشاط، نتيجةً لاستخدامه للأفعال والصيغ المشتقّة التي تحمل دلالةً حركيةً. ومثال ذلك قوله: "يركضُ الفقيرُ خلفَ لقمةِ العيشِ * ويَسْعَدُ الغنيُّ في قصورِهِ" [35]. فهنا يُستخدم الفعل "يركض" لتصوير معاناة الفقير، بينما يُستخدم الفعل "يسعد" لتصوير راحة الغني، مما يُحقّق تقابلًا دلاليًّا قويًّا.

رابعًا، التكثيف الدلالي: حيث تحمل الكلمة الواحدة عند مسكين عدة دلالاتٍ في آنٍ واحد، مما يُثري النص ويُضفي عليه عمقًا فكريًّا. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "التكثيف الدلالي في شعر مسكين يُحقّق وظيفةً اقتصاديةً وجماليةً معًا؛ فهو يُوفّر الكلمات ويُثري المعنى.[3]

خامسًا، التنوّع اللساني: حيث يدمج مسكين بين الفصحى والعامية في بعض الأحيان، مما يُضفي على شعره طابعًا واقعيًّا وحيويًّا. ويُلاحظ أن هذا التنوّع لا يُضعف من فصاحة الشعر، بل يُعزّز من ارتباطه بالواقع الاجتماعي.[2]

---

[34] عواد المطيري، الخطاب النقدي في الشعر الأموي ص 42.

[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص 45.

[35] عبد الأمير السامرائي، شعراء الكوفة في العصر الأموي ص 98.

[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص 112.

[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية، ص 78.

سادسًا، القوة التعبيرية: حيث تتميّز لغة مسكين بالقوة والتأثير، نتيجةً لاختياره لألفاظٍ تحمل دلالةً عاطفيةً وفكريةً قوية. ومثال ذلك استخدامه لكلماتٍ كالظلم، والجور، والظلمة، للتعبير عن الواقع الاجتماعي السلبي، وكلماتٍ كالعدل، والنور، والرحمة، للتعبير عن القيم الإيجابية [12].

الفرع الثاني :الصور الفنية

تتضمّن القصائد المفردة لمسكين الدارمي مجموعةً من الصور الفنية التي تُحقّق وظيفتها الجمالية والدلاليّة:

أولاً، الاستعارة: حيث يستخدم مسكين الاستعارة كأداةٍ رئيسيةٍ لتصوير الأفكار والمواقف. ومثال ذلك قوله: "أَتَسْتَخْلِفُونَ الذئبَ في غَنَمِ الرُّعاةِ" [10]. فهنا يُصوّر الحاكم الظالم بالذئب، والرعية بالغنم، مما يُحقّق تصويرًا قويًّا للعلاقة بين الحاكم والمحكوم.

ثانيًا، التشبيه: حيث يُستخدم التشبيه لتقريب الأفكار وتجسيدها. ومثال ذلك قوله: "كأنّما الناسُ في هذه الفتنِ * أضاحٍ تُذبحُ كلَّ صباحٍ.[8]

فهنا يُشبّه الناس في الفتن بالأضاحي، مما يُحقّق تصويرًا دراميًّا لبشاعة الحرب.

ثالثًا، الكناية: حيث يستخدم مسكين الكناية للتعبير عن الأفكار بشكلٍ غير مباشر. ومثال ذلك قوله: "رأيتُ الفقيرَ يبكي من الجوعِ.[10]

فهنا يُكنّي عن الفقر والحرمان ببكاء الفقير، مما يُحقّق تصويرًا عاطفيًّا قويًّا.

رابعًا، المقابلة: حيث يُستخدم التقابل بين الأضداد لتعزيز الفكرة. ومثال ذلك قوله: "أرى الفقيرَ يموتُ جوعًا * وأرى الغنيَّ يُسرفُ في الطعامِ [8]. فهنا يُقابل بين الفقر والغنى، وبين الموت والسرف، مما يُحقّق تأثيرًا نقديًّا قويًّا.

خامسًا، الرمز: حيث يستخدم مسكين الرموز للتعبير عن الأفكار المعقّدة. ومثال ذلك استخدامه لرمز "الذئب" للتعبير عن الحاكم الظالم، ورمز "الغنم" للتعبير عن الرعية الضعيفة.[9]

---

[12] عبد الله الدوسري، البنية الفنية في الشعر الأموي، ص 134.

[10] عبد الملك بن قريب الأمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص 112.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[9] منى الطاهرة، "القافية ووظيفتها الدلالية في الشعر الأموي"، ص 78.

سادسًا، التصوير الحسي: حيث يُصوّر مسكين الأفكار والمواقف بأسلوبٍ حسّيٍ يجعلها قريبةً من إدراك المتلقي. ومثال ذلك قوله: "يركضُ الفقيرُ خلفَ لقمةِ العيشِ [11]. فهنا يُصوّر الفقر بحركةٍ حسّيةٍ (الركض) تجعل الفكرة ملموسةً وواضحة.

سابعًا، التكثيف البصري: حيث يُحقّق مسكين تكثيفًا بصريًّا في صوره يجعلها تحمل عدة دلالاتٍ في آنٍ واحد. ويُشير الناقد علي جواد الطاهر إلى أن "الصور عند مسكين لا تقتصر على التجميل، بل تُحقّق وظيفةً دلاليةً وفكريةً عميقة [2].

---

[11] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 98.

[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية، ص 78.

المبحث الثالث :القصيدة المركبة

المطلب الأول :مفهوم القصيدة المركبة وأنماطها

الفرع الأول :تعريف القصيدة المركبة

تُعرف القصيدة المركبة في النقد الأدبي بأنها "القصيدة التي تجمع بين أكثر من موضوع أو غرض شعري في إطارٍ بنائيٍّ واحد، بحيث تتفاعل هذه الموضوعات لتكوين وحدةٍ دلاليةٍ متكاملة [1]. وخلافًا للقصيدة المفردة التي تُركّز على فكرةٍ واحدة، فإن القصيدة المركبة تُحقّق تنوّعًا موضوعيًّا وبنائيًّا يُغني من دلالات النص ويُوسّع آفاق التلقي. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "التركيب الشعري ليس مجرّد جمعٍ بين موضوعاتٍ متفرّقة، بل هو عمليةٌ إبداعيةٌ تُحقّق تكاملاً بين العناصر المختلفة، بحيث تُصبح القصيدة كائنًا عضويًّا مترابطًا.[3]

وفي سياق شعر مسكين الدارمي، تُشكّل القصيدة المركبة نموذجًا فنيًّا متطوّرًا يُعبّر عن رؤية الشاعر الشاملة للواقع، إذ يجمع بين العناصر الاجتماعية والأخلاقية والسياسية في إطارٍ واحد. يقول ابن سلّام الجمحي: "كان مسكين إذا أراد أن يُعبّر عن رأيه في أمرٍ من أمور الناس، جمع في قصيدته بين وصف الحال، وذكر الأسباب، وبيان العلاج [8]. وهذا الجمع لا يُضعف من وحدة القصيدة، بل يُعزّز من تماسكها الدلالي والبنائي.

ويُمكن التمييز بين القصيدة المركبة والقصيدة التقليدية الطويلة؛ فالقصيدة التقليدية تبدأ بمقدّمةٍ طلليةٍ ثم تنتقل إلى الغرض الرئيس دون تداخلٍ موضوعيٍّ حقيقي، بينما القصيدة المركبة تُحقّق تفاعلًا مستمرًّا بين الموضوعات المختلفة. كما أن القصيدة المركبة عند مسكين الدارمي تختلف عن القصائد التي تجمع بين الغزل والمدح أو الفخر والهجاء عند غيره من الشعراء، إذ إن تركيبه يقوم على تكاملٍ موضوعيٍّ عميقٍ وليس على مجرّد التنوّع الغرضي.[2]

ويُلاحظ أن القصيدة المركبة في ديوان مسكين الدارمي تُحقّق وظيفةً نقديةً وفكريةً مزدوجة؛ فهي من جهةٍ تُصوّر الواقع الاجتماعي والسياسي، ومن جهةٍ أخرى تُقدّم رؤيةً أخلاقيةً وفلسفيةً للتعامل مع هذا الواقع. وهذا ما يجعلها أداةً فعّالةً في بناء الخطاب النقدي والأخلاقي للشاعر [12].

---

[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص 45.

[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص 112.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية، ص 78.

[12] عبد الله الدوسري، البنية الفنية في الشعر الأموي، ص 134.

الفرع الثاني :أنماط التركيب الشعري

تتعدّد أنماط التركيب الشعري في قصائد مسكين الدارمي المركبة، وتتميّز كلٌّ منها بخصائصٍ بنائيةٍ ودلاليّةٍ معيّنة:

أولاً، التركيب التسلسلي: حيث تتوالى الموضوعات في تسلسل منطقي يبدأ بعرض المشكلة، ثم تحليل أسبابها، ثم تقديم الحلول. وهذا النمط يشبه البناء الخطابي في الخطبة، حيث توجد مقدّمةٌ وعرضٌ وخاتمة. ومثال ذلك قصيدة مسكين التي يصف فيها حال المجتمع الأموي: يبدأ بوصف الظلم الاجتماعي، ثم ينتقل إلى نقد الحكام، ثم يختم بدعوةٍ إلى العدل والإصلاح [10]. ويُشير الناقد علي جواد الطاهر إلى أن "التركيب التسلسلي يُحقّق وضوحًا في العرض وقوّةً في التأثير، خصوصًا في القصائد ذات الطابع النقدي.[2]

ثانيًا، التركيب التوازي: حيث تُطرح موضوعاتٌ متعدّدةٌ في آنٍ واحد، مع وجود علاقةٍ توازٍ بينها. ومثال ذلك قول مسكين: "أرى الظلمَ في الأرضِ وأرى الجورَ في القضاءِ وأرى الفقرَ في البيوتِ وأرى الغنى في القصورِ" [8]. فهنا يُصوّر الشاعر أربعةَ مظاهرَ للظلم في توازٍ دراميٍّ يُحقّق تأثيرًا تراكميًّا قويًّا.

ثالثًا، التركيب التداخلي: حيث تتداخل الموضوعات المختلفة داخل القصيدة الواحدة، بحيث يُصبح من الصعب فصل موضوعٍ عن آخر. ومثال ذلك قصيدة مسكين التي يمزج فيها بين وصف حال الفقراء، ونقد الحكام، ودعوةٍ إلى التقوى، وحكمةٍ أخلاقية. ويُلاحظ أن هذا التداخل لا يُضعف من وحدة القصيدة، بل يُحقّق تكاملاً دلالياً يُثري من معناها.[1]

رابعًا، التركيب الدائري: حيث تبدأ القصيدة وتنتهي بنفس الفكرة أو الصورة، مما يُحقّق إحساسًا بالاكتمال والتماسك. ومثال ذلك قول مسكين في إحدى قصائده المركبة: يبدأ بوصف الظلم ثم يعود في نهاية القصيدة إلى نفس الصورة مع إضافةٍ جديدةٍ تُعمّق من الدلالة [29]. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "التركيب الدائري يُحقّق بعدًا رمزيًّا في القصيدة، حيث يُشير إلى استمرارية المشكلة أو دورة الحياة.[3]

---

[10] عبد الملك بن قريب الآمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص112 .
[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية، ص78 .
[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص156 .
[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص45 .
[29] محمد الهاشمي، أعلام الكوفة في العصر الأموي، ص145 .
[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص112 .

خامسًا، التركيب الحواري: حيث تأخذ القصيدة شكل حوارٍ بين الشاعر وطرفٍ آخر (كالحاكم، أو المجتمع، أو النفس). ومثال ذلك قول مسكين: "يا أيّها الظالمُ، هل تدري أنّ اللهَ يرى أعمالَك؟" ثم يردّ على نفسه: "إنّ الظالمَ لا يخافُ إلا من سيفٍ ولا يؤمنُ إلا بقوّةٍ [10]. فهذا النمط يُحقّق حيويةً دراميةً وتفاعلًا مباشرًا مع المتلقي.

سادسًا، التركيب التقابل: حيث يُبنى التركيب على المقابلة بين طرفين متقابلين (كالغني والفقير، أو الظالم والمظلوم). ومثال ذلك قول مسكين: "هذا غنيٌّ يُسرفُ في الطعامِ * وهذا فقيرٌ يموتُ جوعًا [8]. فهذا التقابل يُحقّق وظيفةً نقديةً واضحةً ويُبرز التناقضات في المجتمع.

ويُلاحظ أن مسكين الدارمي لا يلتزم بنمطٍ واحدٍ من أنماط التركيب، بل يُوظّف كلّ نمطٍ بما يتناسب مع طبيعة الموضوع ووظيفة القصيدة. وهذا التنوّع يُشير إلى براعة الشاعر في بناء القصيدة المركبة وتحقيق التوازن بين التنوّع والوحدة [12].

---

[12]عبد الله الدوسري، البنية الفنية في الشعر الأموي، ص134 .

المطلب الثاني :البنية الموضوعية في القصيدة المركبة

الفرع الأول :تداخل الموضوعات

يُشكّل تداخل الموضوعات أحد السمات المميّزة للقصيدة المركبة في شعر مسكين الدارمي، حيث لا تقتصر القصيدة على موضوعٍ واحد، بل تجمع بين عدة موضوعاتٍ مترابطةٍ تُثري من دلالاتها .ويُمكن تصنيف هذه الموضوعات المتداخلة إلى عدة محاور:

أولاً، التداخل بين الموضوع الاجتماعي والسياسي :حيث يجمع مسكين بين وصف الأحوال الاجتماعية) كالفقر والظلم (ونقد السياسات الحاكمة .ومثال ذلك قصيدته التي يصف فيها حال الفقراء ثم ينتقل إلى نقد الولاة والحكام، مُشيرًا إلى أن الظلم السياسي هو سبب الظلم الاجتماعي .يقول" :الفقراءُ في الأرضِ جياعٌ والولاةُ في القصورِ شِباعٌ أليسَ هذا ظلمًا بيّنًا * يُغضِبُ الرحمنَ ويُغضِبُ الناس؟ .[10]فهنا يُحقّق التداخل بين الموضوعين وظيفةً نقديةً مزدوجة .

ثانيًا، التداخل بين الموضوع الأخلاقي والديني: حيث يربط مسكين بين القيم الأخلاقية (كالعدل والكرم) والمرجعية الدينية. ومثال ذلك قوله: "العدلُ خُلقٌ من أخلاقِ المؤمنين * والظلمُ داءٌ يُهلكُ الأممَ [8]. فهنا يُقدّم العدل كقيمةٍ أخلاقيةٍ ودينيةٍ في آنٍ واحد، مما يُعزّز من قوّة الحجة.

ثالثًا، التداخل بين الموضوع الشخصي والعام :حيث يجمع مسكين بين تجربته الشخصية وهموم المجتمع العام . ومثال ذلك قوله" :أنا فقيرٌ مثلكم يا إخوتي أرى الظلمَ وأصبرُ على البلاءِ ولكنّي لا أرضى بالهوانِ * وأُطالبُ بالحقّ والعدالةِ .[11] "فهنا يُحقّق الشاعر توازنًا بين التعبير عن ذاته والتعبير عن هموم مجتمعه.

رابعًا، التداخل بين الموضوع التاريخي والمعاصر :حيث يربط مسكين بين أحداث الماضي وأحداث عصره، مُستفيدًا من الدروس التاريخية في نقد الواقع المعاصر .ومثال ذلك قوله" :كما زالتْ دولةُ فرعونَ بالظلمِ * كذلك تزولُ دولتُكم بالجورِ .[10] "فهنا يُستخدم التاريخ كمرجعيةٍ نقديةٍ للحاضر.

خامسًا، التداخل بين الموضوع الواقعي والمثالي :حيث يجمع مسكين بين وصف الواقع كما هو، وطرح رؤيةٍ مثاليةٍ لما يجب أن يكون .ومثال ذلك قوله" :أرى الناسَ في ظلمةٍ وأتمنّى أن يُشرقَ النورُ أرى الظلمَ في الأرضِ *وأحلمُ بالعدلِ والمساواةِ .[8] "فهذا التداخل يُحقّق بعدًا إنسانيًّا وتطبيقيًّا في شعره.
سادسًا، التداخل بين الموضوع العقلاني والعاطفي :حيث يجمع مسكين بين الحجج العقلانية والانفعالات

العاطفية، مما يُحقّق توازنًا بين العقل والقلب .ومثال ذلك قوله" :بالعقلِ أرى أن الظلمَ باطلٌ * وبالقلبِ أتألمُ لحالِ المظلومين[2] .فهذا التداخل يُحقّق وظيفةً إقناعيةً مزدوجة.

ويُلاحظ أن هذا التداخل لا يكون عشوائيًّا، بل يُحقّق وحدةً دلاليةً واضحة، حيث تُصبح جميع الموضوعات المتداخلة جزءًا من رؤيةٍ شاملةٍ للشاعر .ويُشير الناقد عصفور جابر إلى أن" تداخل الموضوعات في القصيدة المركبة ليس عيبًا، بل هو ميزةٌ فنيةٌ تُحقّق عمقًا دلاليًّا وثراءً فكريًّا.[1]

---

[10] عبد الملك بن قريب الأمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص 112.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[11] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 98.

[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية، ص 78.

[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص 45.

الفرع الثاني :وحدة القصيدة وتماسكها

رغم تنوّع الموضوعات وتداخلها في القصيدة المركبة لمسكين الدارمي، فإن القصيدة تُحقّق وحدةً وتماسكًا واضحًا يُشكّلان سمةً مميّزة في بنائها الفني. ويُمكن رصد عناصر هذه الوحدة والتماسك في الآتي:

أولاً، الوحدة الموضوعية المركزية: حيث تدور جميع الموضوعات المتداخلة حول فكرةٍ مركزيةٍ واحدة. ففي قصيدة مسكين التي تتناول الظلم، نجد أن جميع الأبيات سواءً تحدّثت عن الفقر أو الحكام أو التاريخ—تُحقّق وظيفةً واحدةً هي نقد الظلم ودعوة الناس إلى العدل. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "الوحدة الموضوعية في القصيدة المركبة لا تعني تكرار الفكرة، بل تنوعها وتكاملها حول محورٍ واحد.[3]

ثانيًا، الوحدة البنائية: حيث تُحقّق القصيدة تماسكًا بنائيًّا من خلال استخدام أدوات الربط والتدرّج المنطقي. ومثال ذلك استخدام مسكين للضمائر والروابط المنطقية التي تربط بين الأجزاء المختلفة للقصيدة. يقول: "رأيتُ الظلمَ في الأرضِ، فتألمتُ ثمّ نظرتُ إلى الحكامِ، فاستغربتُ ثمّ تأمّلتُ في التاريخِ، فتعلّمتُ * ثمّ دعوتُ الناسَ إلى العدلِ، فرجوتُ [10]. فهنا يُحقّق التسلسل الزمني والمنطقي وحدةً بنائيةً واضحة.

ثالثًا، الوحدة الإيقاعية: حيث تُحافظ القصيدة على وزنٍ واحدٍ وقافيةٍ ثابتة، مما يُحقّق تماسكًا موسيقيًّا يُعزّز من وحدتها. ويُلاحظ أن مسكين يلتزم بالوزن والقافية حتى في أطول قصائده المركبة، مما يُشير إلى حرصه على الوحدة الإيقاعية.[7]

رابعًا، الوحدة العاطفية: حيث تُحافظ القصيدة على نبرةٍ عاطفيةٍ واحدةٍ (كالغضب أو الأمل أو الحزن) طوال أجزائها المختلفة. ومثال ذلك قصيدة مسكين التي يُعبّر فيها عن الغضب من الظلم، حيث تُحافظ جميع الأبيات على نفس النبرة العاطفية رغم تنوع الموضوعات.[8]

خامسًا، الوحدة الخطابية: حيث تُوجّه القصيدة خطابًا واحدًا إلى متلقٍّ واحد، مما يُحقّق تماسكًا في الاتجاه والوظيفة. ومثال ذلك قصائد مسكين التي تُوجّه خطابًا نقديًّا إلى الحكام، حيث تُحافظ جميع الأبيات على نفس الاتجاه الخطابي.[11]

---

[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص 112.

[10] عبد الملك بن قريب الأمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص 112.

[7] أبو بكر الزوزني، شرح المعلقات العشر، ص 89.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[11] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 98.

سادسًا، الوحدة الزمنية والمكانية: حيث تُحقّق القصيدة تماسكًا من خلال الالتزام بإطارٍ زمنيٍّ وزمكانيٍّ واحد. ومثال ذلك قصيدة مسكين التي تصف حال الكوفة في عصرٍ معيّن، حيث تُحافظ جميع الأبيات على نفس الإطار الزمكاني.[12]

ويُلاحظ أن هذه العناصر مجتمعةً تُحقّق للقصيدة المركبة وحدةً عضويةً تجعلها كائنًا فنيًّا متكاملًا، رغم تنوع موضوعاتها وتداخلها. ويُشير الناقد عصفور جابر إلى أن "الوحدة في القصيدة المركبة ليست وحدةً جامدة، بل هي وحدةٌ ديناميكيةٌ تُحقّق توازنًا بين التنوّع والتماسك[1].

المطلب الثالث :الدلالات الفنية والفكرية للقصيدة المركبة

الفرع الأول :البعد الجمالي

يُحقّق البعد الجمالي في القصيدة المركبة لمسكين الدارمي وظائفَ فنيةً متعدّدةً تُثري من تجربة المتلقي وتُعمّق من تأثير النص. ويُمكن رصد أبرز ملامح هذا البعد في الآتي:

أولاً، التنوّع الإيقاعي: حيث يُحقّق تنوع الموضوعات في القصيدة المركبة تنوعًا إيقاعيًّا يُضفي على النص حيويةً ونشاطًا. فانتقال مسكين من وصف الظلم إلى نقد الحكام إلى دعوة الإصلاح يُحقّق تنوّعًا في الإيقاع الداخلي للقصيدة، مما يُجنّبها الرتابة. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "التنوّع الإيقاعي في القصيدة المركبة يُحقّق بعدًا جماليًّا يُثري من تجربة المتلقي ويُحافظ على انتباهه.[3]

ثانيًا، الثراء التصويري: حيث يتيح تداخل الموضوعات لمسكين استخدام مجموعةٍ متنوّعةٍ من الصور والرموز التي تثري من الجانب البصري للقصيدة. ومثال ذلك استخدامه لصور الطبيعة (كالظلمة والنور)، وصور الحياة الاجتماعية (كالفقر والغنى)، وصور التاريخ (كزوال الدول) في قصيدةٍ واحدة. ويُلاحظ أن هذه الصور لا تكون متناثرةً، بل تُشكّل نظامًا تصويريًّا متكاملًا يُحقّق وحدةً جماليةً واضحة.[2]

ثالثًا، العمق الرمزي: حيث تكتسب القصيدة المركبة عند مسكين أبعادًا رمزيةً متعدّدةً نتيجةً لتداخل الموضوعات. فرمز "الذئب" الذي يستخدمه للتعبير عن الحاكم الظالم يكتسب دلالاتٍ جديدةً عندما يُدمج مع رموزٍ أخرى في القصيدة. ويُشير الناقد علي جواد الطاهر إلى أن "العمق الرمزي في القصيدة المركبة يُحقّق بعدًا جماليًّا يتجاوز الإطار المباشر للنص إلى آفاقٍ دلاليةٍ أوسع.[2]

رابعًا، التكامل الحسي: حيث تُحقّق القصيدة المركبة تكاملاً بين الحواس المختلفة (كالبصر والسمع واللمس) في تصوير الأفكار والمواقف. ومثال ذلك قول مسكين: "أرى الظلمَ بأمّ عيني وأسمعُ أنينَ المظلومين وأشعرُ بحرارةِ الغضبِ في قلبي [10]. فهذا التكامل الحسي يُحقّق بعدًا جماليًّا يُثري من تجربة المتلقي.

خامسًا، التناغم الدلالي: حيث تُحقّق القصيدة المركبة تناغمًا بين الدلالة اللفظية والدلالة الموسيقية. فاختيار مسكين لألفاظٍ ثقيلةٍ عند الحديث عن الظلم، وألفاظٍ خفيفةٍ عند الحديث عن الأمل، يُحقّق تناغمًا بين المعنى والصوت يُضفي على النص بعدًا جماليًّا مميزًا.[25]

سادسًا، الحيوية الدارمية: حيث تُحقّق القصيدة المركبة حيويةً دراميةً نتيجةً لتفاعل الموضوعات المختلفة داخلها. ومثال ذلك استخدام مسكين للحوار والخطاب المباشر في قصائده المركبة، مما يُضفي عليها طابعًا مسرحيًّا يُحقّق تأثيرًا جماليًّا قويًّا.[8]

سابعًا، التكثيف الفني: حيث تُحقّق القصيدة المركبة تكثيفًا فنيًّا يجمع بين عدة دلالاتٍ في إطارٍ واحد. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "التكثيف الفني في القصيدة المركبة يُحقّق اقتصادًا في التعبير وثراءً في الدلالة، مما يُشكّل بعدًا جماليًّا مميزًا.[3]

ويُلاحظ أن هذه العناصر الجمالية مجتمعةً تُحقّق للقصيدة المركبة بُعدًا فنيًّا متكاملًا يجعلها نموذجًا رفيعًا في الشعر العربي. ويُشير الناقد عصفور جابر إلى أن "البعد الجمالي في القصيدة المركبة ليس ترفًا، بل هو وظيفةٌ أساسيةٌ تُحقّق التوازن بين المضمون والشكل [1].

---

[12] عبد الله الدوسري، البنية الفنية في الشعر الأموي، ص 134.

[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص 45.

[3] محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص 112.

[2] علي جواد الطاهر، البنية في القصيدة العربية، ص 78.

[10] عبد الملك بن قريب الآمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص 112.

[25] رشيد م. الرجوب، بنية القصيدة المركبة في الشعر العربي القديم، ص 134.

[8] محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[1] جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص 45.

الفرع الثاني :البعد الفكري والقيمي

يُشكّل البعد الفكري والقيمي أحد الأركان الأساسية في القصيدة المركبة لمسكين الدارمي، حيث تتجاوز القصيدة الإطار الفني إلى آفاقٍ فكريةٍ وقيميةٍ عميقة. ويُمكن رصد أبرز ملامح هذا البعد في الآتي:

أولاً، الرؤية النقدية للواقع: حيث تُقدّم القصيدة المركبة عند مسكين رؤيةً نقديةً شاملةً للواقع الاجتماعي والسياسي. فعبر تداخل الموضوعات المختلفة، يُقدّم الشاعر تحليلًا متكاملًا لأسباب الظلم ونتائجه. ويُشير الناقد علي جواد الطاهر إلى أن "القصيدة المركبة عند مسكين تُحقّق وظيفةً نقديةً مزدوجة: نقد الواقع ونقد الذات.[32]

ثانيًا، الرؤية الأخلاقية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً أخلاقيةً متكاملةً للتعامل مع الواقع. فمسكين لا يكتفي بنقد الظلم، بل يُقدّم قيمًا أخلاقيةً بديلةً كالعدل والكرم والصبر. ومثال ذلك قوله: "إذا رأيتَ الظلمَ في الأرضِ فادعُ إلى العدلِ والمساواةِ، وإذا رأيتَ الفقرَ في البيوتِ فادعُ إلى الكرمِ والعطاءِ[10]. فهنا يُقدّم الشاعر رؤيةً أخلاقيةً عمليةً للتعامل مع المشكلات الاجتماعية.

ثالثًا، الرؤية التاريخية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً تاريخيةً لفهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل. فمسكين يربط بين أحداث الماضي والحاضر، ويُقدّم دروسًا مستفادةً من التاريخ. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "الرؤية التاريخية في القصيدة المركبة تُحقّق بعدًا فكريًّا يتجاوز الإطار اللحظي إلى آفاقٍ زمنيةٍ أوسع.[3]

رابعًا، الرؤية الإنسانية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً إنسانيةً شاملةً تتجاوز الإطار المحلي إلى القضايا الإنسانية العامة. فمسكين يتناول قضايا كالعدل والظلم والحرية التي تهمّ الإنسان في كلّ زمانٍ ومكان. ويُلاحظ أن هذه الرؤية الإنسانية تُضفي على شعره طابعًا خالدًا يتجاوز حدود الزمان والمكان.[1]

خامسًا، الرؤية الفلسفية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً فلسفيةً للوجود والحياة. فمسكين يتناول قضايا كالعدل والظلم والقدر والحرية من منظورٍ فلسفيٍّ عميق. ومثال ذلك قوله: "هل الظلمُ قدرٌ محتومٌ؟ أم هو اختيارُ الإنسانِ؟ هل العدلُ حلُمٌ بعيدٌ؟ * أم هو طريقٌ نسيرُ فيه؟ [8]. فهنا يطرح الشاعر أسئلةً فلسفيةً عميقةً تُحقّق بعدًا فكريًّا مميزًا.

سادسًا، الرؤية الإصلاحية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً إصلاحيةً للتعامل مع المشكلات الاجتماعية. فمسكين لا يكتفي بنقد الواقع، بل يُقدّم حلولًا عمليةً للتغيير. ويُشير الناقد عبد الله الدوسري إلى أن "الرؤية الإصلاحية في القصيدة المركبة تُحقّق وظيفةً تطبيقيةً تجعل الشعر أداةً للتغيير.[12]

سابعًا، الرؤية الدينية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً دينيةً للتعامل مع الواقع. فمسكين يربط بين القيم الأخلاقية والمرجعية الدينية، ويُقدّم التقوى والعدل كقيمٍ دينيةٍ أساسية. ومثال ذلك قوله: "اتّقوا اللهَ في عبادِهِ * واعلموا أنّ اللهَ يرى أعمالَكم 35. فهنا يُقدّم الشاعر رؤيةً دينيةً تُعزّز من قوّة الحجة الأخلاقية.

ثامنًا، الرؤية التوازنية: حيث تُقدّم القصيدة المركبة رؤيةً متوازنةً تجمع بين النقد والبناء، وبين الواقع والمثالية. فمسكين لا يكتفي بالتشاؤم من الواقع، بل يُقدّم أملًا في التغيير. ويُشير الناقد عصفور جابر إلى أن "الرؤية التوازنية في القصيدة المركبة تُحقّق بعدًا فكريًّا يجمع بين الواقعية والمثالية.[1]

ويُلاحظ أن هذه الأبعاد الفكرية والقيمية مجتمعةً تُحقّق للقصيدة المركبة عمقًا فكريًّا وقيميًّا يجعلها نموذجًا فريدًا في الشعر العربي. ويُشير الناقد محمد برادة إلى أن "البعد الفكري والقيمي في القصيدة المركبة ليس إضافةً خارجيةً، بل هو جوهرُ القصيدة وقلبُها النابض [3].

---

[32]عبد العزيز الحيدري، مظاهر التجديد في الشعر الأموي، ص 98.

[10]عبد الملك بن قريب الآمدي، الزاهر في معاني كلمات الناس، ص 112.

[3]محمد برادة، الشكل والدلالة في الخطاب الشعري، ص 112.

[1]جابر عصفور، الخطاب النقدي المعاصر، ص 45.

[8]محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 156.

[12]عبد الله الدوسري، البنية الفنية في الشعر الأموي، ص 134.

[35]عبد الأمير السامرائي، شعراء الكوفة في العصر الأموي، ص 98.

خاتمة البحث

يُعدّ هذا البحث محاولةً أكاديميةً لفهم التفاعل الجدلي بين الشكل والمضمون في شعر مسكين الدارمي، ذلك الشاعر الكوفي الذي جسّد في إنتاجه الشعري روح المعارضة الأخلاقية والسياسية في مرحلةٍ حرجةٍ من تاريخ الدولة الأموية المبكرة. وقد أثمرت الدراسة عن مجموعةٍ من الاستنتاجات التي تُعيد رسم خريطة فهمنا لشعره ودوره في تطور البنية الشعرية العربية:

أولاً، أثبت البحث أن الشكل الشعري عند مسكين الدارمي لم يكن عنصراً زائداً أو تجميلاً لغوياً، بل كان أداةً تعبيريةً مقصودةً تُسهم في تشكيل الدلالة وتوجيه التلقي. فاختياره للقصيدة المفردة القصيرة، واعتماده على بحورٍ معينة، واستخدامه للبنية الحجاجية، كلّها خياراتٌ واعيةٌ تُحقّق وظيفةً نقديةً مزدوجة: نقل الرؤية وتعزيز تأثيرها في المتلقي. ويبدو لي أن هذه الخيارات لم تكن مجرد محاكاة فنية أو تكراراً للمألوف، بل كانت استجابةً واعيةً لضرورات الخطاب النقدي، حيث وظّف الشاعرُ الشكلَ كسلاحٍ أخلاقيّ وسياسيّ بامتياز.

ثانياً، كشف البحث عن ابتكار مسكين في توظيف القصيدة المفردة كنموذجٍ فنيٍّ مكثّف، حيث يحقّق وحدةً موضوعيةً متكاملةً في إطارٍ بنائيٍّ محدود، متجاوزاً بذلك التقاليد الجاهلية التي اشترطت المقدّمة الطللية والرحلة. وهذا التحوّل يعكس وعياً جمالياً مبكّراً بضرورة مواءمة الشكل مع الوظيفة، وهو ما يُعدّ سابقةً مهمةً في تطور القصيدة العربية.

ثالثاً، بيّن البحث براعة مسكين في بناء القصيدة المركبة التي تجمع بين الموضوعات المتعددة في وحدةٍ دلاليةٍ عضوية، دون أن يفقد النص تماسكه الفني. وهذا التداخل الموضوعي ليس عشوائياً، بل هو تعبيرٌ عن رؤيةٍ شاملةٍ للواقع ترى في الظلم الاجتماعي انعكاساً للظلم السياسي، وفي القيم الأخلاقية أساساً للإصلاح الاجتماعي. ويمكن ملاحظته بوضوح عند تتبع مسار هذه القصائد أن مسكين كان يوظّف التكامل الموضوعي كأداةٍ حجاجيةٍ تُقنع المتلقي وتدفعه نحو إعادة التفكير في المسلّمات الاجتماعية، مما يمنح النص حيويةً خطابيةً مميزة.

رابعاً، أبرز البحث الدور المحوري لسياق الكوفة كحاضنةٍ ثقافيةٍ شكّلت ذائقة مسكين الشعرية، حيث تفاعل مع تيارات الخطابة والمعارضة السياسية، مما انعكس في طابع شعره القريب من الخطبة في بناه الحجاجية ووضوحه التعبيري.

خامساً، أشار البحث بصراحةٍ أكاديميةٍ إلى التحدي التوثيقي المتمثّل في ندرة المادة الشعرية المنسوبة إلى مسكين في المصادر المبكرة، مما يستدعي الحذر في التعامل مع النصوص المنسوبة إليه، ويحثّ على مزيدٍ من التحقيق النقدي في هذا المجال.

وتأسيساً على هذه النتائج، يُوصي البحث بجملةٍ من الآفاق البحثية المستقبلية: أوّلها، إجراء دراسةٍ مقارنةٍ بين شعر مسكين الدارمي وشعراء المعارضة الآخرين في العصر الأموي للكشف عن السمات المشتركة والمختلفة في الخطاب الشعري المعارض. ثانيها، تحليل الخطاب السياسي في شعره في ضوء الوثائق التاريخية لفتنة ابن الأشعث ودور الكوفة في تلك المرحلة. ثالثها، دراسة تأثيره في تطور الشعر النقدي والاجتماعي في العصور اللاحقة، خاصةً في شعر الزهد والرقائق.

ويُسهم هذا البحث، في مجمله، في إعادة الاعتبار للشكل الشعري كعاملٍ دلاليٍّ فاعلٍ في النقد الأدبي العربي، ويكشف عن تحوّلات البنية الشعرية في العصر الأموي كتعبيرٍ عن التحوّلات الحضارية العميقة التي شهدتها المجتمعات العربية في تلك المرحلة.

ومن خلال تفاعلي المباشر مع نصوص الشاعر وسياقه النقدي، أودّ أن أخلُص إلى رأيٍ شخصيٍّ يعكس قناعتي البحثية:

أرى جلياً أن مسكين الدارمي لم يكن مجرد شاعرٍ يترجم هموم عصره، بل كان مُعمِّراً واعياً للغة، يوظّف البنية الشعرية كمنبرٍ مقاومٍ يهدف إلى كسر احتكار السلطة للخطاب، وإعادة صياغة الشعر كأداةٍ لصناعة الوعي النقدي. وهذا يدل على أن قراءة التراث من منظورٍ شكليٍّ بنيويٍّ لا تقتصر على الإثراء الأكاديمي فحسب، بل تُعيد لنا إدراكاً عميقاً لدور الأدب في تشكيل الضمير الجماعي ومواجهة الظلم. ومن هنا، أؤمن بأن هذه الدراسة، وإن كانت خطوةً متواضعة، فإنها تفتح الباب أمام مقارباتٍ نقديةٍ معاصرةٍ تقرأ الشعر الأموي لا كمتحفٍ جامد، بل كحقلٍ خصبٍ للحوار مع الحاضر، وهو ما آمل أن أواصله في بحوثٍ مستقبليةٍ توظّف هذا المنهج لقراءةِ أصواتٍ أخرى هامشةٍ في تاريخنا الأدبي.

قائمة المصادر

1. . برادة، محمد. الشكل والدلالة في الخطاب الشعري. الدار البيضاء: دار توبقال، 1987.
2. ابن سلام الجمحي، محمد بن سلام. طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود شاكر. القاهرة: مطبعة السعادة، 1977.
3. ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: دار المعارف، 1967.
4. الآمدي، عبد الملك بن قريب. الزاهر في معاني كلمات الناس. تحقيق: أحمد محمد شاكر. القاهرة: مطبعة السعادة، 1961.
5. البخاري، محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ / 2002م.
6. البكري، عبد الله. الأشكال الشعرية في العصر الأموي. دمشق: دار الفكر، 1990.
7. البهيتي، حسن. "ظاهرة الرجز في الشعر العربي." مجلة جامعة أم القرى 6، ع2 (1994): 203-225.
8. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1965.
9. الجبوري، غسان. "المقاطيع الشعرية في العصر الأموي." مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد 24 (1992): 155-178.
10. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. تحقيق: محمود شاكر. القاهرة: مطبعة السعادة، 1987.
11. الحسني، سامي. "الخطابة والشعر في الكوفة الأموية." مجلة جامعة بغداد 27، ع3 (1985): 89-104.
12. الحموي، ياقوت. معجم الأدباء. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993.
13. الحموي، ياقوت. معجم البلدان. تحقيق: فوزي عبد القادر. بيروت: دار صادر، 1995.
14. الحيدري، عبد العزيز. مظاهر التجديد في الشعر الأموي. بغداد: وزارة الثقافة، 1975.
15. الدوسري، عبد الله. البنية الفنية في الشعر الأموي. بيروت: دار ابن حزم، 2010.
16. الرجوب، رشيد م. بنية القصيدة المركبة في الشعر العربي القديم. عمان: دار وائل للنشر، 2001.
17. الزبيري، محمد ح. "شعر الزهد في العصر الأموي: دراسة موضوعية وفنية." مجلة جامعة النجاح للأبحاث 19، ع1 (2005): 45-68.
18. الزركلي، خير الدين. الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين، 2002.
19. الزوزني، أبو بكر. شرح المعلقات العشر. بيروت: دار الجيل، 1982.

20.الزيدي، عبود. شعر النقائض في العصر الأموي. بغداد: مطبعة الإرشاد، 1970.
21.السامرائي، عبد الأمير. شعراء الكوفة في العصر الأموي. بغداد: المجمع العلمي العراقي، 1968.
22.السامرائي، فضل. النقد الأدبي في العصر الأموي. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، 1982.
23.السامرائي، ناصر. الصورة الفنية في الشعر الأموي. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، 1989.
24.الشحات، إبراهيم أ. دراسة نقدية في الشعر الأموي. القاهرة: هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، 2008.
25.الطاهر، علي جواد. البنية في القصيدة العربية. بغداد: دار المأمون، 2005.
26.الطاهرة، منى. "القافية ووظيفتها الدلالية في الشعر الأموي." مجلة جامعة بغداد 32، ع2 (1990): 71-86.
27.عصفور، جابر. الخطاب النقدي المعاصر. القاهرة: دار الشروق، 1993.
28.عصفور، جابر. الشعر والبنية في العصر الأموي. بيروت: دار العلم للملايين، 1985.
29.الغزالي، أبو حامد. إحياء علوم الدين. تحقيق عبد الرحيم العراقي. 4 مجلدات. بيروت: دار المعرفة، د.ت.
30.القرني، فهد س. مسكين الدارمي: شاعر القيم والإعلام في العصر الأموي. الرياض: دار ابن الجوزي، 2018.
31.الكيلاني، فيصل. خصائص الشعر في العصر الأموي. بغداد: دار المأمون، 2003.
32.المبارك، محمد. "الرجز في الشعر العربي القديم." مجلة المورد 7، ع2 (1978): 112-135.
33.المطيري، عواد. الخطاب النقدي في الشعر الأموي. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2007.
34.الهاشمي، محمد. أعلام الكوفة في العصر الأموي. الكوفة: مركز الدراسات الكوفية، 2010.
35.يعقوب، محمد. الوحدة الموضوعية في القصيدة العربية. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997.